دراسات
في العلوم السياسة

الفاعلية الحضارية واثرها على الامن الدولي

الاستاذ المساعد الدكتور
رشا يحيى عبيس
جامعة الكوفة ـ كلية العلوم السياسية

الفاعلية الحضارية واثرها على الامن الدولي

Civilizational effectiveness and international security

الاستاذ المساعد الدكتور
رشا يحيى عبيس
جامعة الكوفة ـ كلية العلوم السياسية
RASHA YAHYA OBAYES
rashay.almsalimawi@uokufa.edu.iq

الملخص :

ان وضع استراتيجية بعيدة المدى لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات من خلال استخدام معطيات التقنيات الحديثة لتدعيم هذا الحوار الحضاري وتشكيل مفاهيم مشتركة وبذل الجهود الدولية السلمية الفاعلة من اجل حل المشكلات الكبرى المعقدة التي تشكو منها المناطق التي يتولد فيها العنف والتميز العنصري والتأكيد على أهمية القيم في تحقيق كرامة الانسان وإقامة العدل وتحقيق التعايش الامن بين المجتمعات البشرية من الكوارث والفقر والجهل والتدهور الأخلاقي وبث روح التعاون التسامح المساواة التضامن واحترام التنوع الثقافي بين الشعوب وخصوصيته ،وان الأصل في الحضارات هو الحوار لا الصراع وان على كل طرف ان يلتزم بآداب الحوار وشروطه وضوابطه ويحترم الطرف الاخر ،وعليه فأن قضية الامن بالسلم القيمي هو ضرورة حتمية لصناعة الحضارات وذلك يتضح جليا في جميع الرسالات السماوية التي دعت لتطبيق الامن وجرمت أي محاولة للعبث بوجوده،وان عملية استنهاض الوعي الحضاري لامة ما وتأسيس قاعدته المعرفية وبلورة توجهاته ، هي حصيلة معقدة لتظافر وتأثير جهود قوى بشرية متميزة بفكرها وقدرتها على استقراء الواقع وفهم قوانينه وفق رؤى ومناهج علمية منضبطة المعايير والقواعد سبيلا للتكيف مع حركيته والتأثير بمخرجاته ،لذلك هناك ضرورة لمعرفة الامن والفاعلية الحضارية والعمل على توظيف أليات الفاعلية الحضارية من اجل تحقيق الامن الدولي .

Summary

The development of a long-term strategy to activate dialogue between civilizations and cultures by using the data of modern technologies to support this civilized dialogue and the formation of common

and criminalized any attempt to tamper with its existence.

And the process of awakening the civilizational awareness of a nation, establishing its knowledge base and crystallizing its orientations, is a complex outcome of the synergy and impact of the efforts of human forces distinguished by their thought and their ability to extrapolate reality and understand its laws according to scientific visions and approaches that disciplined standards and rules as a way to adapt to its dynamism and influence its outcomes.

Therefore, there is a need to know security and civilizational effectiveness and to work on employing the mechanisms of civilizational effectiveness in order to achieve international security.

concepts and to make effective peaceful international efforts in order to solve the major complex problems that suffer from the regions where violence and racial discrimination are generated and stressing the importance of values in achieving Human dignity, the establishment of justice and the achievement of secure coexistence among human societies from disasters, poverty, ignorance and moral deterioration, and spreading the spirit of cooperation, tolerance, equality, solidarity and respect for cultural diversity among peoples and their privacy، .

Accordingly, the issue of security in a moral peace is an inevitable necessity for the manufacture of civilizations, and this is evident in all the divine messages that called for the implementation of security

المقدمة:

ان حالة التفاعل الإيجابي بين الحضارات لا تلغي جدلية الصراع والمدافعة الاجتماعية والحضارية، وانما تؤكد على هذه الجدلية لان التفاعل لا يعني الجمود والرتابة والافق الواحد في العلاقات وانما يعني المزيد من التنافس وأثبات الجدارة الذاتية لكل كيان ومدرسة حضارية، والتفاعل هو التأثير والتأثر الايجابي فالتفاعل بين الحضارات وحده الذي يجعل الإنسانية جمعاء تستفيد من محاسن الحضارات ومنجزاتها الصالحة.ونجد اننا نعيش الان حضارة معاصرة حضارة العلم والتكنولوجيا والتقنية حضارة تفرض نفسها علينا وعلى غيرنا بالفكر والتقنية والسلع والسلاح، انها حضارة العصر الحاضرعصر الثورة العلمية في علوم الفضاء والذرة والبيولوجيا كما في الاقتصاد والاجتماع والادارة وغيرها . وفي هذا العالم تغيرت فيه الاحوال وتطورت الحقوق والواجبات وكثرت فيه المنافسات والتهديدات انه عالم سمته التغير والتبدل لذلك اصبحت هناك ضرورة لمعرفة

الفاعلية الحضارية وان يكون هناك قدرة على فهم طبيعة الفاعلية الحضارية وضرورة ان يكون هناك القدرة على الاستفادة من التقدم الحاصل من اجل مواجهة كافة التغيرات التي تحدث على الصعيد الدولي.

ان الامن الدولي ذاته سيتحول الى متغير حضاري بعد تحويل دلالاته الى قيم حضارية وليس إجراءات ميدانية، ويفرض منظومة القواعد السلوكية الخاصة بالأمن الدولي على المجتمع الدولي(دول، افراد، مؤسسات) الامر الذي يجعل السلوك لهذه المجاميع او هذه الفواعل هو سلوك حضاري عقائدي اجتماعي وان فرضته ضرورات الامن، فمثلا قيم الاقتصاد أصبحت سلوك اجتماعي في طبيعة التعامل مع السلعة والاستهلاك كذلك التعامل الفكري مع الأعداء وهو البعد الفكري للأمن كل هذا يجعل قواعد السلوك الأمني التي تترجم عبر قنوات اجتماعية سلوكية تجعل الامن ذاته قيم حضارية كذلك نجد ان التعامل التجاري اصبح لا يحتكر فقط بالجانب الأمني فالحصار والمعونات الاقتصادية سلوك امني فرضته حاجة أمنية حتى اتساع الرقابة على الإنتاجات الأدبية والفكرية والدنية كلها باتت تتأثر بالحاجة الأمنية او متطلبات الأمنية لذلك فأنها توجه هذه الأفكار في الجانب الأمني. وعليه يمكن ان نبين طبيعة هذه الفاعلية من خلال هذا البحث والذي سنتناول فيه مطلبين:

المطلب الأول اليات الفاعلية الحضارية

المطلب الثاني :التوظيف الدولي لآليات الفاعلية الحضارية

المطلب الأول اليات الفاعليه الحضارية

ان هذه الآليات تعتمد ضوابط محددة، ويمكن اعتبارها عوامل مساعدة، إذ هي التي ستتحول مع الوقت إلى ثوابت قيمية، ومن بين هذه الآليات:

اولا: الاليات السياسية في ظل النظام الدولي الجديد الذي بدأ بعد الحرب الباردة، حيث تغيرت قيم سياسية سادت لعقود خلت وحلت محلها قيم أخرى مثل الديمقراطية وحقوق الانسان واعتماد مبدأ التدخل الإنساني وهذه القيم لها متطلباتها القيمية أو أن مقبوليتها ارتهنت بقبول قيم جديدة أو مستحدثة، فالديمقراطية لها متطلبات امنية معينة لابد من توافرها حتى يتيسر عمل اليات الديمقراطية في المجتمع، كما أن الآمن لا يتحقق الا من خلال توافر بيئة ديمقراطية ناضجة يلتزم فيها الجميع، ونجد ان العلاقة بين الامن والديمقراطية تتلخص في امرين رئيسين الأول يتمثل في ان الأجهزة الأمنية تتدخل عندما يحدث أي نوع من التجاوز من جانب اي قوة سياسية للإطار الدستوري والقانوني المنظم للممارسة الديمقراطية ليمثل تهديد للامن والاستقرار اما الامر الثاني فيتعلق بأسلوب تعامل الأجهزة الأمنية مع مثل هذه التجاوزات

وضرورة توافر أجهزة امنية ذات مستوى رفيع من المهنية والاحترافية ومزودة بأحداث التقنيات اللازمة لأداء مهامها هذا فضلا عن توافر العناصر البشرية المؤهلة فنيا وبيئيا ونفسيا لأداء المهام المؤهلة اليها [١] ولذلك فان الديمقراطية يجب ان تكون قوية بصورة كافية حتى تستطيع ان تقف في وجه (الطغيان) الذي يشكل الخطر الامثل على البشرية وفي هذه النقطة بالذات تظهر مقولة (ان ليس ثمة من فلسفة بريئة) بشكل واضح للغاية ففلسفة (شتراوس) ترى اهمية اتخاذ القوة سبيلا لنقل الديمقراطية إلى العالم وهذا هو شعار البنتاغون في عهد جورج بوش الابن[٢]. كذلك الحال بالنسبة لحقوق الانسان لم يقتصر الأمر على الدعوة لحماية حقوق الإنسان على الصعيد السياسي والإعلامي بل وصل في عالم ما بعد الحرب الباردة إلى التدخل العسكري وذلك لفرض حالة يرى صاحب القرار التدخل ضرورة لابد منها حتّى لو ذهب ضحيتها أعداداً من البشر كما هو الحال في الصومال حتى قبل أن ينضج قرار أممي أو تفويض رسمي من الأمم المتحدة، إذ وصلت طلائع القوات الأمريكية للأراضي الصومالية قبل صدور القرار الأممي ٧٩٤ الصادر في ١٩٩٢/١٢/٤ والذي تدعو فيه إلى استخدام كل الوسائل اللازمة لإيجاد بيئة أمنية لعمليات الإغاثة الإنسانية في الصومال بأسرع ما يمكن، أو فرض حصار اقتصادي على الدولة التي تتهم بانتهاك حقوق الإنسان كما حدث عند فرض الحصار الاقتصادي على دولة (هايتي)* القريبة على الساحل الأمريكي بسبب انقلاب عسكري أدى إلى الإطاحة بالحكومة وطرد رئيس الجمهورية إلى الخارج. وكالعادة لجأت الولايات المتحدة إلى المنبر الدولي للحصول على تأييد المجتمع الدولي لقرارها، فاصدر مجلس الأمن الدولي قرارا لفرض الحصار الاقتصادي على هايتي والمطالبة بعودة رئيس الجمهورية للبلاد.[٣] وبالتالي فأن حق التدخل المستند للإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد استدعى ضرورة تغييرها باعتباره ضرورة امنية في عالم جديد اصبح الامن الدولي هو ذاته متغيرا، أي إن دلالات الامن القومي ومتطلباته تفرض ذاتها لتقييم هذا سلوك ديمقراطي أم لا؟ أو بعبارة أدق أصبح ينظر إلى الديمقراطية بدلالات أَمنية.

اماالتدخل الإنسانية هو الذي يتحقق من خلال تدخل دولة او منظمة دولية حكومية في شؤون هي من صميم الاختصاص الداخلي للدول، وان المفهوم الواسع للتدخل الإنساني يمكن ادراجه من خلال العديد من الوسائل التي يمكن ان تندرج تحت هذا النوع من التدخل تتخلص ابرزها في تنظيم الحملات الصحفية واعتماد الإجراءات الاقتصادية فرض القيود على بيع الأسلحة ومنع ارسال مواد الإغاثة للسكان والتدخل المسلح من طرف واحد واللجوء الى تدابير القمع التي يتخذها مجلس الامن طبقا للفصل السابع من

ميثاق الأمم المتحدة وان الهدف من التدخل يختلف من حالة الى أخرى اذ يمكن ان يشمل التدخل حماية الرعايا، حماية الأقليات، إنها الاعتداءات الداخلية احتواء الهجرة، توطين المهاجرين واللاجئين، التصدي للماسي الإنسانية نتيجة الكوارث الطبيعية او الكوارث البشرية وتدعم حركات التحرر الوطني بناء على حق تقري المصير[٤].

ثانيا: الاليات الاقتصادية: مع صعود دور المتغير الاقتصادي صعد دور المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي،وصندوق النقد الدولي وصعود دورها بل هيمنتها تقوم على اساس انه مادامت تلك المؤسسات المالية العالمية تجمع الاموال وتبني الثروات وتوفير السيولة النقدية فانها ستشجع الدول على الاقتراض والتحكم في اقتصادياتها وسياساتها المالية والتجارية ومن ثم ولأن دور الولايات المتحدة الأمريكية متقدم وفاعل في هذه المؤسسات، فإن الهيمنة تتحول طبيعياً إلى هيمنة أمريكية على مقدرات الشعوب الاقتصادية خاصة تلك الشعوب المنظمة إلى آليات تلك المؤسسات[٥]. ومثال على ذلك، تمتلك الولايات المتحدة الامريكية١٥% من رأسمال صندوق النقد الدولي مما يجعل مساهمات باقي الدول الاخرى ضعيفة وغير مؤسسة[٦].

ان نزوع الاستراتيجية الاقتصادية الامريكية الى نشر النظام الاقتصادي الرأسمالي وجعل العالم سوق واحدة من خلال تفعيل "أدوات العولمة"[٧]، كسبيل لنمو الاقتصاد الامريكي من خلال الشركات المتعددة الجنسية التي تشكل الولايات المتحدة الامريكية الوطن الأم لغالبيتها، وقد سبق لوزير المالية الأمريكي الأسبق روبرت روبرن القول "إن المهم هنا أن نعمل على نحو يسمح لنا بالسيطرة على الهياكل المالية والاقتصادية العالمية" [٨].

ومن هذا المنطلق نجد أن الولايات المتحدة الامريكية تعد المؤسسات الاقتصادية المالية العالمية أحد أهم الأدوات التي تستخدمها في ضمان وتحقيق مصالحها الحيوية في العالم ولاسيما الاقتصادية منها[٩]، وهذه الهيمنة المزدوجة على المؤسسات الاقتصادية وعلى الأطراف المكونة لها تتحول إلى هيمنة أمريكية على الأطراف الدولية التي تتعامل مع هذه المؤسسات، وتنتظم بضوابطها.

ثالثاً: الآليات الثقافية والإعلامية مع اتساع وسائل الإعلام وتنامي دورها واستخداماتها ومع حقيقة أن العالم أصبح قرية صغيرة تؤثر الثقافة الأكثر انتشاراً وحيوية دعماً في قناعات الشعوب الأخرى، فإن الإعلام والثقافة والأفكار باتت تؤثر بعضها ببعض من خلال طرق مختلفة منها الإغراء أو الاختراق واستخدام وسائل الإعلام والمعلومات لدرجة تصبح هذه القيم الجديدة بديلة

عـن القـيم السـائدة سـابقاً، ولعـل مطالبـة دول الخليج كالكويت مثلاً لعدم تدريس بعض الآيات القرآنية في المدارس بحجة أنها تدعوا للإرهاب والعنف وتلك الآيات التي تدعو للاستعداد للقتال والإعداد له، أو تلك التي توضح مواقف بعض الأديان من الرسول (ص) وعليه تكون هذه التوجهات دلالات توجه الثقافات لإعادة مفاهيم ومدركات للفكر السياسي واستبدالها بمفاهيم جديدة خاصة بالعولمة وتبني النموذج الغربي والأمريكي في المؤسسات التعليمية والجامعات ومحاولة جعلها تدريجية لإحلالها في الفكر الجديد للأفراد [١٠].

رابعاً: الثورة المعلوماتية أو(الموجة الثالثة) فسحت المجال واسعاً لمن يقبض على شروطها وينجح في توظيفها للسيطرة على العالم إدارة ومورداً. وأذا كانت الاخيرة الآن تشير الى جماعية الجهود المبذولة بهذا الاتجاه، فأن الواقع بدا مفصحا وبجد عن المستفيد الأول منها حيث الولايات المتحدة الامريكية التي لم تتوانى عن توظيف حصائل تلك الثورة وجهود الاقطاب الدولية لصالحها معتمدة في ذلك على ما تمتلكه من قاعدة اساسية للثورة المعلوماتية والتي تقوم على اساس التطور الكبير في مجال الفضاء والمعلومات والحاسوب الالكتروني ووسائل الاتصالات والاعلام ...الخ، وتستمد طاقتها المتجددة من التدفق اللامتناهي للمعلومات والافكار والتي توفر "أدوات تشكيل المستقبل"[١١].هذا وأن عصر العولمة المعلوماتية يؤثر في الدول ومركز العضوية والهيكلية للنظام للدول من خلال استهداف عناصر الدولة الأربعة وهي السيادة والاقليم والشعب والحكومة اذ لا يمكن لأي من العناصر ان يكون بمنأى عن التأثير او التغير، لذلك تعبر الهرميات الدولية تبعاً لذلك، حيث نجد ان الامن الدولي يتأثر بتياري العولمة والمعلومات اذ هما اللذان سيحددان من يقود العالم في عصر المعلومات [١٢]

لذلك برزت أهمية التوظيف السياسي للثورة المعلوماتية في عملية الغزو الإعلامي، أذ أن هذا الغزو في حقيقيته لا يكاد يخرج عن كونه توجه استراتيجي منظم له اساليبه وتكتيكاته، فهو ليس مجرد تدفق معلومات وأفكار ومعتقدات ، وأنما هو عملية مقصودة ترتبط بقوانين النظام السياسي واحتكاراته وتوجهاته ويخضع لعمليات التطور العلمي في البحوث البيولوجية والسايكولوجية بقصد السيطرة على اتجاهات تفكير الناس وملىء أدمغتهم بكم هائل من المعلومات والأفكار لتنفيذ المخطط السياسي– النفسي– الثقافي المسوّق للنموذج الأمريكي.[١٣] ولهذا أحتل الفوز في معركة تدفق الاعلام العالمي،[١٤] مكانته في أجندة السياسة الأمريكية لكسب واحدة من أهم أدوات العولمة الهادفة الى (تعميم نمط من الانماط التي تخص ذلك البلد أو

تلك الجماعة وجعلة يشمل الجميع"العالم كله")[١٥].

فقد استطاعت الدول المتقدمة عبور حواجز التخلف ووصولها الى ما هي عليه من تقدم علمي واقتصادي وذلك نتيجة لاتباعها الأسلوب العلمي في مختلف جوانب حياتها على عكس الدول الفقيرة التي لازالت تمارس أسلوب التجربة والخطأ في تعاملاتها مما يؤدي ذلك الى هدر في الإمكانيات والطاقة وزيادة التخلف والفقر [١٦].

المطلب الثاني التوظيف الدولي لآليات الفاعلية الحضارية

من اجل ابراز أهمية هذه الاليات كان لابد من توظيفها لمعرفة دورها وتأثيرها على الامن الدولي وسيتم معرفة هذا الدور وفقا للاتي:-

أولا:-ان غياب الند الثقافي او غياب الصراع الفكري المجرد او البعيد عن الجوانب العسكرية المباشرة بعد أن تلاشى صراع الحرب الباردة الذي كان صراع فكري يعطي نتيجة بعيدة للجانب العسكري، حيث بدأ بظهور فاعلين جدد إضافيين كالصين وروسيا واليابان والبرازيل والاتحاد الأوربي وكذلك بسبب متغيرات العولمة الاقتصادية الآخذة في تكشيف العلاقات السياسية والاجتماعية في الاعتماد المتبادل بين الدول هذا وان التصارع والطموح والتوترات التي ستصوغ العلاقات بين الدول الكبرى بشكل فردي مما سيكون لها تأثير فاعل على التفاعلات والإجراءات الأمنية [١٧].

وإن زيادة التهديدات بفعل الإرهاب الدولي والتغير المناخي وزيادة السكان الهجرة والحروب الاهلية والامراض المعدية وانتشار أسلحة الدمار الشامل بفقدان الضابط لها وهي الولايات المتحدة الامريكية [١٨]قد وجدت إدارة بوش (الأبن) في هذه الأحداث فرصة لتصعيد ترويجها للاستراتيجية الأمريكية الجديدة من خلال أتباع الأسلوب الوقائي للتعامل مع التهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي الامريكي ووصفها بوش (الأبن)؛بأنها "تهديدات جديدة تتطلب أيضاً تفكيراً جديداً"[١٩]، يحتم المباشرة باستنفار كامل لجميع مقومات الإستراتيجية الأمريكية لأسناد العقيدة الجديدة والتمهيد لها وأضفاء هامش من الشرعية المفقودة عليها وهذا ما يقوم به الخطاب الدعائي الامريكي، حيث رسم صورة مبالغ بها (للعدو المحتمل) حسب المنظور الأمريكي والذي لابد من كبح جماحه عن طريق القيام بعمل وقائي يترتب عليه القضاء على ذلك تهديد في المهد وتصوير كل فعل تقوم به الولايات المتحدة الامريكية كجزء من مشروع الدفاع عن النفس بغض النظر عن مدى درجة التهديد الآتي والمستقبلي الذي يشكله العدو المزعوم، وقد تطلبت تلك المهمة من الولايات المتحدة الامريكية جهد مستمر لبناء تحالف واسع يكون تحت قيادتها، وتتوالى الآلة الإعلامية الأمريكية

التي تصور (الحرب على الإرهاب) بمثابة حرب بين الخير والشر أو بين الحق والباطل،مهمة الحفاظ والإبقاء عليه قوياً وهنا يقول الرئيس بوش(الأبن)" يقلق البعض من الكلام بلغة الحق والباطل لكونه،بشكل ما كلاماً غير دبلوماسي أو غير مهذب، أنا لا أوافق فالظروف المختلفة تتطلب أساليب مختلفة، لكنها لاتستدعي أخلاقيات مختلفة"[٢٠].

أي أن نظم الأخلاقيات باتت تدرك عبر دلالات القوة سواء بالتهديد أو بالاستخدام وأي كان ذلك الاستخدام استباقي، وقائي، رد فعل.

وحقيقة هذه المتغيرات، ولحرص الأطراف المهمة على وجودها وتنظيمها لتفاعلات النظام الدولي، عليه هذه المتغيرات – ومن قبلها مشروعية الدفاع عن النفس ضد التهديدات – يجدها الطرف الدولي الأقوى أضحت أكثر ارتباطا بالأمن الدولي، لا بل اصبح الأمن الدولي يُستدلّ عليه – وعلى التهديدات – عبر هذه المتغيرات ذا دلالات قيمية في معالجة لهذه فلم تعد مجرد إجراءات قيمية أو مفاهيمية أو سلوكية، يتم اتخاذها بل أصبحت تتطلبها حاجة أمنية ضرورية.

ثانياً: التوظيف الأمريكي للإسلاميين يخطى من يظن ان الولايات المتحدة الامريكية كانت غافلة من الاحداث التي جرت في العديد من الدول العربية فكل شيء كان مدروس ومخطط ومحسوب الى درجة وصل بالآخرين للقول إن كلّ ما جرى كان توظيف واقتراح أمريكي،[٢١] وإن الثورات التي حدثت وصفتها (كوندليزا رايس) – وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة – بالتخلص من الحلفاء منتهين الصلاحية والذين تعداهم الزمن ولم يكونوا قادرين على مواجهة التحديات المحدقة بشعوب المنطقة [٢٢].

ولن تقتصر عمليات التوظيف الأمريكي للأحداث على المنطقة العربية، بل حتى آلية عمل حلف شمال الأطلسي لم تعد عسكرية فقط، بل أصبح هناك مهام أخرى له، وإن بدأت عسكرية في صورتها الظاهرة، وهذا ما حدث عندما تدخل الناتو في البوسنة والهرسك عام ١٩٩٥، ونشر قوات حفظ السلام فيها، ومن ثم القيام بضربات جوية على يوغسلافيا بسبب الصراع في كوسوفو عام ١٩٩٩، ودخول قوات الناتو كوسوفو، هو بالحقيقة لاحتواء البُعد الإسلامي في يوغوسلافيا وبقايا الفكر الشيوعي، وكذلك الحال في إرسال قوات الحلف إلى مقدونيا لمهمة حفظ السلام عام ٢٠٠١، وجاء تكليف حلف الناتو بمهمة قوات المساعدة الأمنية الدولية (إيساف) في أفغانستان عام ٢٠٠٣، هو صراع فكري يزيل دلالاته بالقوة لتحلّ محلّه دلالات فكرية أخرى تكون حمايتها مهمة للأمن الدولي، ثم تعززت الأعمال الأمنية بدالّة القيم والسلوك الحضاري في مهام قام بها الحلف، مثل أعمال الإغاثة الإنسانية كما في حالتي تدخل قوات الناتو للتخفيف من آثار الزلزال الذي

ضرب باكستان عام ٢٠٠٦، وإغاثة المتضررين من الإعصار كاترينا الذي ضرب الولايات المتحدة الامريكيةعام ٢٠٠٦.

وقد أعلن الحلف عن عدد من المبادرات، من أهمها مبادرة الشراكة من أجل السلام سنة ١٩٩٤ تحت مسمى دعم العلاقة مع البلدان التي تقع على أطراف الحلف الأطلسي، مثل البوسنة وصربيا والجبل الأسود، والتعاون معها. وكذلك توقيع اتفاق تأسيسي لمجلس الناتو روسيا المشترك الدائم عام ١٩٩٧ لمنح روسيا دوراً استشارياً في مناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك. ومع بداية الصراع في كوسوفو علقت روسيا كافة علاقاتها مع الناتو، ليتم تفعيل مجلس الناتو روسيا بشكل رسمي عام ٢٠٠٢.وأيضا مبادرة إسطنبول للتعاون –التي أعلنت عنها قمة الحلف عام ٢٠٠٤– الداعية إلى ما سمته التعاون مع دول الشرق الأوسط لتعزيز الاستقرار ودعم السلام في المنطقة[١].

كما ان اعتقاد الولايات المتحدة الامريكية ومنذ انهيار الكتلة الاشتراكية أهمية وضرورة وجود عدو دائم يوفر لها المبررات والحجج للتدخل في شؤون الغير، فوجود العدو يعمل على تأطير أهدافها الاستراتيجية وتبريرها، ولهذا"كان البحث عن عدو استراتيجي هاجساً امريكيا منذ اللحظة التي نكست فيها الى غير رجعة الأعلام السوفيتية الحمراء ذات المنجل والمطرقة في كل المحافل الدولية".[٢٣] وهنا يأتي دور الآله الإعلامية الامريكية العملاقة بالترويج لهذا العدو داخليا ومن ثم يتم تسويقه للغير من خلال أضافة بعض اللمسات الخاصة التي تتقنها اجهزة الدعاية الامريكية كخطر داهم على السلم والأمن الدولي .وعلى ضوءذلك بنيت اساسافكريا للامن ، حيث ان الامن وحاجاته اضحى قيم فكرية حضارية

وفي خضم الطروحات الفكرية والنظريات التي كانت يروج لها المفكرين الأمريكيين والتي تحاول الكشف أو الخلق للعدو المحتمل، بدأت المؤشرات تتجه نحو الإسلام كعدو حقيقي، لاسيما بعد أن جاءت أحداث الحادي عشر من ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ لتسليط الضوء بقوة على الاسلام[٢٤]، للتعويض عن العدو الضائع. وهذا ما برعت فيه الإستراتيجية الدعائية الأمريكية حيث التوظيف الذكي لمخرجات الثورة المعلوماتية خدمة للإستراتيجية الكونية الأمريكية عن طريق تصوير حجم الكارثة واستثمارها سياسياً لكسب التعاطف الدولي الرسمي والشعبي من جهه، وإظهار صورة العدو المفترض على ابعد ما يكون وإضفاء صفة الشر الداهم عليه الذي لابد من أستئصاله من جذوره من جهة أخرى[٢٥]. في هذا الوقت بدأت(طروحات هنتنغتون) بخصوص الصراع بين الحضارات، والتي تم الترويج لها أعلامياً أذ تظهر الأسلام العدو الاول للحضارات الغربية بأعتباره دين يبيح سفك دماء الغير ومولداً للإرهاب الذي بدت

ستراتيجيات مكافحته تتبلور مع صعود (المحافظين الجدد) لسدة الحكم في الولايات المتحدةالامريكية. وهكذا أصبح الإرهاب والحرب عليه لمكافحته، بؤره سياسة جورج دبليو بوش الخارجية.

ومن أجل كسب المشاعر والمواقف حيال هذه البؤره كانت الولايات المتحدة الامريكية معنية بوضع الجمهور بصفه مستمرة في حالة خوف،حيث تصدر نشره بعد أخرى من وكالة الاستخبارات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفدرالية تتنبأ بهجمات أرهابية على مطارات أو منشأت حكومية وغيرها كجزء من حرب نفسيه متعمده [٢٦].

ثالثا–استخدام أسلوب القوة وتبرير استخدامها باعتبارها الية من اليات التعبير عن القوى الثرية التي تشكل خمس العالم والاربع اخماس الباقية من الفقراء تكون هذه الاكثرية منساقة للقلة المتوافرة على القوة ،باعتبار هذه القلة دكتاتورية ذات مسؤولية محددة وخاصة [٢٧]

لذلك نجد اتساع عمليات الامن والحلول العسكرية لحل القضايا الدولية سواء تلك التي تسعى للتغير او التي تحد من التغير فمثلا الولايات المتحدة الامريكية تسعى لتغير الحالة في سوريا بالقوة وكذلك روسيا تحاول أيضا ان تحل المسالة بالقوة.

ونجد ان الولايات المتحدة الامريكية تتمتع بتفوق كبير في مجال التسلح فهي تمتلك اقوى سلاح جوي في العالم واقوى قوات بحرية وقدرة فائقة على الممارسة النفوذ العسكرية حول العالم ويمكننا القول ان تفوقها العسكري يظهر بشكل واضح اذا نظرنا اليه بالمعايير الكيفية وليست الكمية فقط والولايات المتحدة الامريكية تتفوق في هذا الاطار على العالم اجمع عبر استعمال قطعاتها العسكرية للتقنيات المتقدمة في مجال الاتصالات والمعلومات كما أظهرت قدرة لا مثيل لها على التنسيق ومعالجة الظروف الطارئة في ساحة المعركة وعلى تدمير اهداف محددة بدرجة فائقة من الدقة والولايات المتحدة الامريكية تعمل على تعجيز الاخرين للحاق بها الامر الذي يتضح من خلال الفجوة الهائلة بين ما تنفقه هي على أنشطة البحث والتطور وبين ما ينفقه الاخرون عليها حيث انها تنفق في هذا المجال ثلاثة اضعاف ما تنفقه القوى الكبرى الست مجتمعة.

ورغم عدم مشروعية استخدام القوة في المجتمع الدولي الا ان الولايات المتحدة الامريكية بدأت تستخدمها بذرائع عدة منها الحفاظ على الامن والسلم الدولية وابرز مثال هو الحرب على العراق واستخدام القوة ضده حجة منع العراق من امتلاك وتطوير أسلحة دمار الشامل من نووية وكيميائية لما في ذلك من تهديد لأمن العالم ولأمن الولايات المتحدة الامريكية ، إضافة الى ان مشاريع ديمقرطة المحتوى للمجتمعات والدول الإسلامية تتعدى مرحلة الضغوط السياسية

والدبلوماسية لتصل الى مرحلة شن حروب التدخل واستخدام القوة لتحقيق ذلك[٢٨].

لذا فان اسلوب استخدام القوة لفرض حالة مرغوبة او الحد من حالة غير مرغوبة فبظل القوى ومنطقها الذي ساد بعد احداث ايلول ٢٠٠١ وبظل غياب الند الحضاري الذي يمكن ان تستخدم الدلالات الحضارية كالقيمية والفكرية والثقافية في التنافس او اثبات الذات او يقيم السلوك والفعل و سيادة مفاهيم الاقتصاد وحاجة الاقتصاد للقوة لحمايتها وديمومتها على حد سواءاضحت القوة وغايتها هي الالية المعتمدة و سلوك يبدو هو الاكثر حدوثا والاكثر مقبولية في التفاعلات الدولية بل اصبحت الحضارة تنظيم عبر تغيب هواجس الامن والتهديد و الاستخدام الفعلي للقوة وبأشكاله المختلفة عليه يمكن القول ان الامن الدولي ذاته اصبح هو متغير حضاري.

اي ان يتراجع المتغير الحضاري بدرجة كبيرة لصالح مفهوم الامن الدولي ومتطلباته،وهذا التراجع قوامه اعتبار متطلبات الامن وكيفية تأمينه والحد من الهواجس هي سلوك حضاري وقيم عقائدية معاً،فالسلوك الحضاري يكون بدالة الاجراءات الأمنية كحاجة إنسانية و تأمين لمتطلبات الحياة والفاعلية الانسانية فهي قيم حضارية وسلوك حضاري. ولعل التكيف الدولي مع معظم حالات استخدام القوة هو واحد من الادلة.

و نتيجة منطقية لمعادلة العوامل والآليات المساعدة للفاعلية هناك بعض الامور تحول دونه تحقيق هذه الفاعلية وهي:

١- تراجع دور اليات النظام الدولي ومنها الأمم المتحدة في عملية ضبط الإجراءات الأمنية وذلك لتعدد الفاعلين الدوليين وغياب المؤثر القادر على التعامل بقوة بفعل الضغوط التي تمتلكها أوراق اللعب [٢٩].

٢- تدهور تدريجي لأليات النظام الاقتصادي بشقية المالي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والاقتصادي منظمة لتجارة العالمية اذ ان الصين وروسيا والهند وكوريا الجنوبية وحتى البرازيل ليست فقط لا تحتاج الى صندوق النقد بل في موقع منافسة معه ومصرف تمويل التنمية الصيني يقدم القروض للبنك الدولي او يسددها كما ساعد الارجنتين على تسديد التراماتها مع صندوق النقد الدولي [٣٠].

٣- التغيير في نوعية العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية واوربا الموحدة فالأحادية القطبية لم تكن ثمار قوة الولايات المتحدة الامريكية وسيطرتها لوحدها وانما بانهيار توازن ثنائي القطبية ،وان توحدت اوربافأنها في طور النمو فيما ظلت الولايات المتحدة الامريكية أسيرة هدف استراتيجي لبسط امبراطورتها على العالم فسقوط الاتحاد السوفيتي حرر اوربا الشرقية من الفلك السوفيتي والتحق بالفلك الأمريكي ولكن في

الكفة الأقوى هومدى تحرير اوربا الغربية من سيطرة الولايات المتحدة الامريكية [٣١].

٤- ان انحدار الولايات المتحدة الامريكية سوف لا يكون سريعا وليس على حساب استبدال مركزها بمركز دولة أخرى وانما سيكون تدريجي ولا زالت القوى الأخرى ابعيدة عن ذلك [٣٢].

٥- قلة الميل الى الحرب بين الدول والتحول نحو البناء ومراجعة مشاكل اقتصادية كإحدى سمات النظام الدولي الراهن فاوربا ستبتعد عن استخدام القوة العسكرية لتحقيق اهداف استراتيجية ابعد من المهام الامنية بل ستقتصرعلى عمليات حفظ السلام وماشابهها اذ تركت الحروب التي خاضتها جراحا وانقسامات عميقة داخل المجتمعات الغربية مما يقلل من احتمالات ميلها لاستخدام قواتها العسكرية في مواجهة مشاكل أو نزعات في مختلف انحاء العالم [٣٣].

٦- تحدي إدارة التوازنات والعلاقات الداخلية في الحركات الإسلامية إضافة الى تحدي وتطوير الخطاب الفكري والأيديولوجي للحركات الاسلامية [٣٤].

حيث نجد استمرار المواجهة بين الدول وداخل الدولة الواحدة من قبل المنظمات الإرهابية او تقاطعات فكرية يكون سلاحها العملي هي القوة وليس الحوار والفكر خاصة في مناطق عدم الاستقرار كالشرق الأوسط البلقان والصحراء الكبرى وغيرها إضافة الى استمرار سباق التسلح النووي في الشرق الأوسط كذلك المواقف المتباينة من برنامج ايران النووي و زيادة دور االحركات الإسلامية في الشرق الأوسط مما يؤدي الى عدم الاستقرار كما تؤدي الى استمرار حالات التمرد[٣٥].كذلك الصراعات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط التي خلقت تحدي جديد للإدارة الامريكية

ان حالة عدم الرضا من التفرد الامريكي في مغانم النظام الدولي الجديد.هي أضعف من الصمود امام حالة التوافقات الامريكية الاوربية، وامام الهواجس المشتركة لهما، كما أن الدول المرشحة لمواقع متقدمة في الهرمية الدولية هي غير مختلفة كثيرا عن الادارة الامريكية في قضايا دولية عديدة وان القدرة العملية للإدارة الامريكية مازالت فاعلة لإدامة الشعور بالعدو المشترك سوآءا الارهاب بدلالاته المختلفة وغير المسيطر عليها التي تهدد العالم الغربي ،او استمرار وجوده.

الخاتمة:

خلاصة القول ان الامن ذاته هو الذي سيتحول الى متغير حضاري. وذلك نتيجة لتحويل دلالاته الى قيم حضارية وليست مجرد إجراءات ميدانية فترى ان جميع الإجراءات الان على مستوى العالم تحولت الى دلالات امنية فترى مسالة الديمقراطية حقوق الانسان التدخل الإنساني تحولت الى دلالات امنية مرتبطة بالأمن، كذلك

مسالة استخدام القوة العسكرية أيضا بدلالات قيمة حضارية عبر اجراءات أمنية وعلية أصبحت من الضروري التأكيد على الفاعلية الحضارية خصوصا وان العالم اصبح قريه واحدة وان هناك ترابط وتفاعل قوي بين كل الياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقيمية وتوظيف هذه الاليات لتحقق امن الدولي .

المصادر:

(١) محمد سعيد أبو عامود، الامن والديمقراطية، مركز الاعلام الأمني، جامعة حلوان، مصر، ص١-٥، على الشبكة العالمية للمعلومات الموقع http/:www.policemc.gov.bh.، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٩/٣٠.

(٢)،عماد فوزي ، الاستراتيجية الامريكية الجديدة وساحة عملياتها العسكرية، مركز المعطيات الاستراتيجية،دمشق، ٢٠٠٤. ص٦.

* صباح الأحد ٢٩ شباط ٢٠٠٤ استقال بيرتراد اريستيد من منصبه كرئيس لجمهورية هايتي وهرب بطائرة لجهة مجهولة، غير أن الإدارة الأمريكية وفرنسا أرسلت قوات لحصار هايتي عسكرياً وحاصرتها اقتصادياً دون تفويض أممي، للنزيد من التفاصيل أنظر: www.voltairnet.org.

(٣) مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية، النظام الدولي الجديد وقضايا المنطقة العربية، ط١، الرياض، ١٩٩٥، ص(١٤٨).

(٤) خالد حساني، بعض الإشكاليات النظرية لمفهوم التدخل الإنساني، مجلة المستقبل الغربي مركز دراسات الوحدة العربية، الامارات، ص٤٤-٤٥، http/www.google.com

(٥) محمد احمد النابلسي ، الاستراتيجية القادمة للولايات المتحدة المركز العربي للدراسات المستقبلية،بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص٢٢.

(6)www.albayan.com

(٧) فرانك لتيشنر وآخرون، العولمة الطوفان أم الانقاذ؟، ترجمة فاضل جكتر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢١.

(٨) هنري كيسنجر، هل تحتاج الولايات المتحدة الى سياسة خارجية، نحو دبلوماسية القرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٣٠ .

(٩) حنان دويدار، الولايات المتحدة والمؤسسات المالية الدولية، السياسة الدولية، العدد ١٢٧،القاهرة: ١٩٩٧، ص ص ١١٩-١٢٠ .

(١٠) نايف علي عبيد، العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، عدد٢٢١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تموز،١٩٩٧، ص٣٣.

(١١) ياس خضر البياتي، الاستراتيجية الإعلامية للغزو الامريكي، اهداف و اساليب الاختراق للوطن العربي، شؤون سياسية، العدد (٢)،مركز الجمهورية للدراسات السياسية،١٩٩٤، ص٤٦.

(١٢) بيل جيسن، المعلوماتية بعد الانترنيت طريق المستقبل، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة علم المعرفة، الكويت، اذار، ١٩٩٨، ص٣٥-٤٦.

(١٣) ياس خضير البياتي، مصدر سابق، ص٤٨.

(١٤) مصطفى عبد الغني، صورة الأمريكي في الرواية العربية: العلاقات العربية- الامريكية، تحرير سامي عبدالله خصاونة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص٢٢.

(١٥) باسيل يوسف، حقوق الانسان بين العولمة، مجلة الموقف الثقافي، العدد(٧)،١٩٩٧، ص ١٨.

(١٦) وائل محمد إسماعيل، التخطيط العلمي لصنع المستقبل: رؤى نظرية، مجلة دراسات دولية، عدد٤٧، مركز دراسات دولية، جامعة بغداد، كانون الثاني، ٢٠١١، ص٧٥.

(١٧) علي حسين باكير، أمريكا تفقد زعامة العالم في ٢٠٢٠ لصالح الصين، من الشبكة العالمية للملوماتية الانترنيت، تاريخ الدخول ٢٠١٥/٩/٣٠ الموقع الالكتروني http:/www.akhbaral alam.net

(18) Rohangunaratna, new terror threastsin 2012, the national magazine 20 jan 2012

(١٩) وثيقة استراتيجية الأمن القومي الامريكي الجديدة لعام ٢٠٠٢ ،ص٩.

(٢٠)خطاب الرئيس جورج دبليو بوش في أكاديمية ويست بوينت العسكرية، نيويورك، ١/حزيران٢٠٠٢.

(٢١) سعدون يخلف، الثورات العربية بين تطلعات الشعوب وحسابات أمريكا، صحيفة القدس، عدد٦٧٧٥، في ٢٠١١/٣/٢٥، ص٨.

(٢٢) عبد الله فهد النفسي، موجة التغير، صحيفة الخليج العربي، ٢٠١١/١٠/٦، ص٢.

(٢٣) حلف شمال الاطلسي، الشبكة العالمية للمعلومات الانترنيت http://www.aljazeera.net/

أسماعيل الشطي، تحديات استراتيجية بعد احداث ١١ايلول،في مجموعة باحثين، العرب والعالم بعد ١١ايلول، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠٠٢،، ص ١٣٩.

(٢٤) حسن الحاج علي، تغيير الثقافة باستخدام السياسة : احتلال العراق –الاهداف– النتائج– المستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، آيار/٢٠٠٤،ص٧٩.

(٢٥) نصير عاروري، حملة جورج بوش المناهضة للإرهاب، في مجموعة باحثين:العرب والعالم بعد١١/أيلول، مصدر سابق، ص٢٢٩

(٢٦) نصير عاروري، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٠.

(٢٧) هانسو بيترمارتن وهارلد شومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، تشرين الأول، ١٩٩٨، ص١٩–١٥٨.

(٢٨) محمد وليد أسكاف، حق استخدام القوة ودوره في العلاقات الدولية، اللجنة العربية لحقوق الانسان، الشبكة العالمية للمعلوماتية الانترنيت، تاريخ الدخول للموقع ٢٠١٥/٩/٣٠.

(٢٩) وائل محمد إسماعيل، التغير في النظام الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٦٦.

(٣٠)،فريد زكريا، عالم ما بعد أمريكا، ترجمة بسام شيحا، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩ ص١٨.

(٣١) أبو عقل ضو، سقط الاتحاد السوفيتي وخسرت أمريكا، السياسية الدولية، الرأي الان، ١/كانون الأول/٢٠١١.

(٣٢) فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ١٩–٢١.

(٣٣) وائل محمد إسماعيل، التعبير في النظام الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٦٧.

(٣٤) خليل العناني، التيارات الإسلامية في عصر الثورات العربي ملحق تحولات، مجلة سياسية مولية، عدد ١٨٤، القاهرة، نيسان ٢٠١١، ص١٤.

(٣٥) وائل محمد إسماعيل، التعبير في النظام الدولي، مصدر سبق ذكره، ص١٦٩–١٧٠.